

يتيم صار للعالم أباً

لكل طفل حق في العيش الكريم في الدنيا والحصول على ما يحصل عليه أقرانه من الحقوق التي ينبغي على المجتمع أن يتكفل بها. وأول من يضمن له هذه الحقوق الأسرة التي ينتمي إليها ، والوالد هو الذي يتكفل بإدارة شؤون الأسرة والإنفاق عليها ، وقد تؤدي وفاة الأب إلى نكبة تتعرض لها الأسرة ، مما يترك الزوجة أرملة والأطفال أيتام. والإسلام حث أبناءه على رعاية الأسرة التي غاب عنها معيّلها ، وجعل ذلك عبادة وقربة إلى الله تعالى فإن (الساعي على الأرملة واليتيم كالمجاهد في سبيل الله وكالصائم الذي لا يفطر وكالقائم الذي لا يفتر)

قال رسول الله ﷺ:

((أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا)) ، وقال بإصبعيه السبابة والوسطى^(١).

كافل اليتيم : القائم بأموره ومصالحه وترتيبه^(٢).

اليتيم الذي مات أبوه وهو صغير ، ويقصد به المذكر والمؤنث على السواء.

وسواء أنفق عليه من ماله أو من مال اليتيم^(٣).

الأصابع : الخنصر والبنصر والوسطى والسبابة والإبهام.

استعمال النبي ﷺ لغة الجسد فاستعمل أصبعيه لمعنى القرب والمرافقة ، وحتى أن

صحابي استعمل الفعل (قال) مع حركة الإصبعين. وفيه دلالة على معاملتهم حركات

الجسد على أنها لغة.

^١ رواه أحمد : ٥ / ٣٣٣ برقم (٢٢٨٧١) ، والبخاري : ٧١٠ برقم (٥٦٥٩) ، وأبو داود : ٨٥٧ برقم (٥١٤١) ، والترمذي : ٥٣٦ برقم

(١٩١٨) ، وقال عنه : حسن صحيح.

^٢ ينظر عون المعبود : ٤٦ / ٦.

^٣ التيسير بشرح الجامع الصغير : ١ / ٧٦٧.

بلاغة كناية عن زيادة قرب الكافل من النبي ﷺ^(٤). التفاوت بين طول الوسطى وطول السبابة ، وفيه إشارة إلى : درجة النبي ﷺ ودرجة كافل اليتيم قدر تفاوت ما بين السبابة والوسطى. أو إشارة إلى سرعة الدخول عقبه ﷺ إلى الجنة. أو أن المقصود الأمران معاً^(٥).

ودقة الاستعمال للغة الجسد تأتي من التفاوت بين طول السبابة والوسطى. ومثله ((بعثت أنا والساعة كهاتين))^(٦)، وليس بينهما إصبع.

وجه الشبه بين النبي وكافل اليتيم أنه كافل لقوم لا يعلمون أمور دينهم ومرشد ومعلم. مات أبوه فقامت أمه مقامه ، أو ماتت الأم فقام الأب مقامها ، أو ماتا معاً فقام أحد غيرهما مقامهما^(٧).

قريب أو بعيد ، وعلى رواية (له أو لغيره)^(٨).

السبابة لأنها يسبب بها الشيطان ، أو السباحة لأنها يشار بها في التشهد.

ولد النبي ﷺ يتيمًا

١- ليتولى الله ﷻ تربيته فلا يربيه غيره.

٢- ليزوق مرارة اليتيم فيكون أبًا لكل يتيم ، بل أبًا للعالم كله.

((لقد ولى عبد الله، وترك ابنه يتيمًا، بيد أن هذا اليتيم كان يعدّ من اللحظة الأولى لأمر جلال، أمر يصبح به إمام المصطفين الأخيار، وما الأب والجد، ما الأقربون والأبعدون، ما الأرض والسماء إلا وسائل مسخرة لإتمام قدر الله، وإبلاغ نعمة الله من اصطنعه الله))^(٩).

((وكانت البركة في مقدمه معها، كانت سنواتها عجافا من قبله، فامتّن الله عليها بخير مضاعف: درّت الضروع بعد جفاف، ولان العيش وأخصب، وشعرت حلّيمة وزوجها وولدها بأن أوبتهم من مكة كانت باليمن والغنم، لا بالفقر واليتيم، ممّا زاد تعلّقهم بالطفل وإعزازهم له))^(١٠) : ١

^٤ ينظر حاشية السندي على صحيح البخاري : ٤ / ٢٦ .

^٥ ينظر عون المعبود : ٦ / ٤٦ .

^٦ رواه

^٧ ينظر فتح الباري : ٤ / ٢٢٧ .

^٨ ينظر فتح الباري : ٤ / ٢٢٧ .

^٩ فقه السيرة للغزالي : ٦٣ .

^{١٠} فقه السيرة للغزالي : ٦٣ .

وهكذا أرادت حكمة الله أن ينشأ رسوله يتيماً، تتولاه عناية الله وحدها بعيداً عن الذراع التي تمعن في تدليله والمال الذي يزيد في تنعيمه، حتى لا تميل به نفسه إلى مجد المال والجاه، وحتى لا يتأثر بما حوله من معنى الصدارة والزعامة، فتلتبس على الناس قداسة النبوة بجاه الدنيا، وحتى لا يحسبوه يصطنع الأول ابتغاء الوصول إلى الثاني))^{١١}!

فوائد رعاية الأيتام

- ١- رقة في القلب لكل من يحسن إلى اليتيم ، ويشفى من كل الأمراض النفسية.
- ٢- الحسنات الكثيرة (من مسح على رأس اليتيم كان له بكل شعرة يمسه حسنة).
- ٣- القرب من رسول الله في الجنة.
- ٤- سرعة دخول الجنة والنجاة من أهوال القيامة.
- ٥- الاطمئنان على أبنائي إذا مت ، فهناك مجتمع يكفلهم.
- ٦- المحافظة على اليتيم من الانحراف.
- ٧- المحافظة على نفسية اليتيم من الحقد على من لهم آباء.
- ٨- قد يكون في هذا اليتيم سر من أسرار الله ﷻ، فيكون من الذين يغيرون حركة التاريخ ، فإن حليلة لم يخطر على بالها أن يكون اليتيم الذي أرضعته هادياً لكل هذا العالم.

قال ابن بطال : ((حق على من سمع هذا الحديث أن يعمل به ليكون رفيق النبي ﷺ في الجنة ، ولا منزلة في الآخرة أفضل من ذلك))^{١٢}!

أول مصنف في الصحيح المجرد صحيح البخاري، ثم صحيح مسلم. وهما أصح الكتب بعد القرآن، وقد أجمعت الأمة على تلقي كتابيهما بالقبول. أ- أيهما أصح: والبخاري أصحهما، وأكثرهما فوائد؛ وذلك لأن أحاديث البخاري أشد اتصالاً، وأوثق رجالاً، ولأن فيه من الاستنباطات الفقهية، والنكت الحكيمة ما ليس في صحيح مسلم.

^{١١} فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة : ٤٥ .

^{١٢} عون المعبود : ٦ / ٤٧ .

هذا وكون صحيح البخاري أصح من صحيح مسلم إنما هو باعتبار المجموع، وإلا فقد يوجد بعض الأحاديث في مسلم أقوى من بعض الأحاديث في البخاري. وقيل: إن صحيح مسلم أصح، والصواب هو القول الأول.

ب- هل استوعبا الصحيح، أو التزمناه؟ لم يستوعب البخاري ومسلم الصحيح في صحيحيهما، ولا التزمناه. فقد قال البخاري: "ما أدخلت في كتابي الجامع إلا ما صح، وتركت من الصحاح لحال الطول" ١.

وقال مسلم: "ليس كل شيء عندي صحيح وضعته ههنا، إنما وضعت ما أجمعوا عليه" ٢.

٢- والصحيح أنه فاتهما شيء كثير، فقد نقل عن البخاري أنه قال: "وما تركت من الصحاح أكثر" وقال: "أحفظ مائة ألف حديث صحيح، ومائتي ألف حديث غير صحيح" ١.

ه- أين نجد بقية الأحاديث الصحيحة التي فاتت البخاري ومسلما؟ تجدها في الكتب المعتمدة المشهورة، كصحيح ابن خزيمة، وصحيح ابن حبان، ومستدرك الحاكم، والسنن الأربعة، وسنن الدارقطني، وسنن البيهقي، وغيرها.